تضحيات

فتحت النافذة هذا الصباح وكانت أمامها شجرة شاهدت عليها طائرين جميلين ، يغرد أحدهما والآخر يصغى إلى أنغامه بكل انتباه ، وبعد لحظات صمت هذا الطائر ، ثم التفت إلى صاحبه على أثر ابتسامة ساخرة بدت على وجهه وسأله قائلا : « ما الذى يضحكك يا أخى ؟ » فأجاب « لا شىء سوى أنى فى حيرة من أمر هذه المخلوقات المسماة بالبشر — إن هذا الرجل الذى ينظر إلينا يذكرنى بحادثة غريبة شاهدتها أمس ... » فالتفت صاحبه إلى وأخذ يحدق فى طويلا ... ثم قال « ماذا رأيت ؟ » فأجاب : « بعد أن عبرت البحار السبع ووصلت اليابسة شاهدت حركات تبدو من أشخاص مجتمعين تحت شجرة فدفعنى الفضول ، وحب الاستطلاع إلى النزول عليها — فوجدت فتاة مريضة ملقاة على الرمل وحولها اتباعها وقد ملأ الحزن قلوبهم وكادت أن تنفطر ، وسمعت أحدهم يقول : « . نعم لقد ذهب أخوه ليحضر طبيباً من القرية المجاورة ...

لكن متى يأتى . ؟ وبعد لحظات رأيت ثلاثة أشخاص قد حضروا . وفهمت أن الأول كان أخاها ، وأما الآخران فكانا الطبيب ومساعده ولمادنا الطبيب الموقر إلى هذه السقيمة ، وعرف داءها ، ثم رأى توسل أهلها بأن يساعدهم فى شفاء ابنتهم ، وأخبروه أنهم لا يملكون إلا شيئا يسيراً من المال ، وباسم الانسانية أن يعطف على وحيدتهم ولو يقتضيه شىء من التضحية .. وأن يدرك هذه المشرفة على الهلاك قبل أن تتخطفها يد المنون .. وبعد أن رأى كل هذا رفع رأسه وقال « نعم إن واجبى خدمة الإنسانية بكل إخلاص ، وبصرف النظر عن أى مصلحة شخصية ، وإننى الآن لباذل قصارى جهدى فى معالجة هذه المسكينة ثم توقف قليلا عن خطبته فقالت الأم البائسة له : حياك الله ملاك رحيم . . » ثم استأنف قائلا شكراً ولكن فى الحقيقة مرضها صعب وغريب . . . ولا أدرى هل تتحملون أتعاب علاجها ، ولتقديرى ظروفكم لا أطلب أكثر من مئة دينار ... »

فوضعت الأم التعسة يدها فى جيبها والدموع تترقرق فى محاجرها وأخرجت عشرة دنانير وقالت له بصوت تخنقه العبرات : « سيدى هذا كل ما أملك ... أتضرع إليك ... أرجو ... » فقاطعها الطبيب غاضباً وقد قطب جبينه قائلا : « ماذا تريدين » أتريدين أن أشفى ابنتك بعشرة دنانير ؟ أتقابلين نصيحتى هكذا ؟ لاشك أنك جننت ، ولم يكد يتم كلامه حتى انطلق كالسهم ، وكانت خطبته السابقة عن الشفقة والرحمة وعن التضحية الواجبة على كل مصلح !... — إن لم يكن مفسداً — يدوى صداها فى الهواء .

ولم أطق أكثر من هذا وانطلقت طائراً إلى هذا المكان ولم أفهم أى تضحية كان يقصدها ذلك الملاك الرحيم ! ! أو بالأحرى ذلك الشيطان الرجيم !! » .

فرقزق صاحبه قائلا : « لا عجب يا أخى إذا أنذرهم أنبياؤهم بالنار والجحيم ، والعذاب الأليم دون سائر الأحياء » .

فولجت فى الغرفة مطرقاً بعد سماعى هذه الحكاية ... وقلت فى نفسى ما أغبى هذا الطائر ! وأى عجب فيما جرى !؟

عبد الرحمن الرحمانى

« حكمة قاض »

من أغرب الأحكام الصينية أن أربعة من تجار القطن خافوا أن يسطو الفأر على قطنهم ، فابتاعوا هراً بأن دفع كل واحد منهم ثمن فخذ ، فحدث أن الهر جرح بفخذ من أفخاذه فربط جرحه بالقطن وبل بالغاز ، فقضت الصدفة التعسة بالتهاب الضماد ، وفرار الهر إلى أكداس القطن فأحرقها ، فقام أصحاب الأفخاذ الثلاثة السليمة الدعوى على صاحب الفخذ الجريح ، فأصدر القاضى حكمه بأن الفخذ الجريح لم يحمل الهر إلى القطن ، ولكن الأفخاذ السليمة هى التى حملته ، فعلى أصحابها أن يدفعوا ثمن قطن صاحب الفخذ الجريح .